

التوعي الإسلامي المعاصر لحقوق الإنسان

قراءة في كتاب: حقوق الإنسان بين الإعلانين الإسلامي والعالمي

محمد حسن زراقط

تأليف: الشيخ محمد علي التسخيري

الناشر: دار الثقليين - بيروت

الطبعة: الأولى - ١٩٩٥م

يفتح الشيخ محمد علي التسخيري كتابه الذي هو في الأصل دراسة مقدمة إلى منظمة المؤتمر الإسلامي، بالتأكيد على العلاقة بين المسألة الفلسفية والمسألة الاجتماعية، فعندما نريد الحديث عن حقوق الإنسان، لا بد، بالدرجة الأولى، من تحديد الموقف الفلسفي من مفاهيم: الحق، الإنسان، المساواة... وهذا ما يحاول توضيحه قبل الدخول في بحثه، فيرى أن الحقوق: «لا بد وأن تتوفر على عنصرين:

الأول: نشوؤها من حالة واقعية...

الثاني: توافق واعتبار شرعي أو عرفي لها، كي ننظم الحياة الاجتماعية»^(١).

ثم ينتقل إلى الإنسان، فيرى أن الإنسان الذي يمكن أن يثبت له حق، هو: «ذلك الموجود الذي يمتلك بطبيعته عناصر فطرية تولد معه وتبقى معه وهي تتطلب -في الواقع- مسيرة معينة إذا خرج عنها خرج عن الصفة الإنسانية...»^(٢). وعلى ضوء هذه النظرة للإنسان يرى التسخيري أن الفكر المادي لا يمكنه أن يثبت للإنسان الحقوق التي لا صلة

لها بالمادة، ومنها حق العبادة، وحق التوصل إلى الدين الحق.

ثم يستعرض الكاتب في لمحة مختصرة تاريخ حقوق الإنسان، فيشير إلى أن التفكير في حقوق الإنسان بدأ باكراً مع الفلسفة اليونانية التي ربطت الحقوق بالطبيعة وقوانينها، ثم بعد ذلك نجد عند الرومان لمحات لا بأس بها حول الموضوع، واستمر ذلك إلى الفترة المعاصرة حيث دُوِّنت مجموعة من العهود والاتفاقيات، بعد أن ذاقت البشرية ويلات الحروب وقاست مراراتها. ويشير الكاتب هنا إلى أن مؤرخي الفكر الحقوقي يقفزون عن المرحلة الإسلامية مع أنها من أغنى مراحل الفكر الإنساني في مجال الحقوق. ومن هنا، لا يمكن عد الإعلان الإسلامي حول حقوق الإنسان إلا صياغة عرفية لحقوق تم الإعلان عند فجر الإسلام، ومع بواكير أصداء آياته التي تمجد الإنسان: ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾، وتصور دمه: ﴿ومن قتل نفساً بغير نفس...﴾.

بين الإعلانين:

ثم يذكر نص الإعلانين العالمي والإسلامي ليقارن بينهما، ويستنتج أن الإعلان العالمي يخلو من بعض الحقوق التي وردت في الإعلان الإسلامي.

ونشير هنا إلى أهمها:

- ١- حق الطفل والكرامة
- ٢- حق حرمة الجنازة الإنسانية
- ٣- حق الإنسانية في عدم إتلاف الزرع
- ٤- حق الجنين
- ٥- حق الأبوين على الأبناء

والخلق كلهم عيال الله، ولا نجد لذلك أثراً في الإعلان العالمي.

بين النظرية والتطبيق:

في الفصل الأخير من كتابه يعرض التسخيري للمفارقة بين النظرية والتطبيق في الإعلانين، فيبدي قناعة بأن هذه المشكلة موجودة في كليهما؛ حيث تحول الإعلان العالمي إلى مجموعة من الشعارات الأخلاقية التي لا تملك سنداً قانونياً ملزماً على مستوى التطبيق: «نقول السيدة روزفلت رئيسة لجنة حقوق الإنسان: إن الإعلان ليس ميثاقاً أو اتفاقية دولية، ولا يترك أي إلزام قانوني وإنما هو بيان لمجموعة من الحقوق المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالإنسان والتي يعتبر تحققها مطلوباً على الصعيد العالمي»^(٣).

وفي الإعلان الإسلامي نصت المادة الثامنة والعشرين منه على: «تعمل الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي على اتخاذ جميع الإجراءات اللازمة لتطبيق أحكام هذا الإعلان». «إلا أن مؤتمر وزراء الخارجية التاسع عشر المنعقد في القاهرة الذي وافق نهائياً على الإعلان صوتت بالاكثارية على حذف هذه المادة»^(٤). وهكذا أصيب الإعلان الإسلامي بما أصيب به نظيره العالمي.

الهوامش

- (١) حقوق الإنسان بين الإعلانين الإسلامي والعالمي، ص ١٤.
- (٢) المصدر نفسه، ص ١٦.
- (٣) المصدر نفسه، ص ٨١.
- (٤) المصدر نفسه، ص ٨١.

وينقل الكاتب تشكيكاً في النوايا الكامنة خلف الإعلان العالمي؛ حيث تم الإعلان عنه بعد حرب خرجت منها أمريكا منتصرة، وفي ظل الخوف من المد الشيوعي الذي كان يداعب آمال الفقراء والمحرومين في الأرض، فأراد المنتصرون أن يحققوا نوعاً من التوازن ولو الخادع في العلاقات الدولية، فتساوت كما يقول الكاتب: الولايات المتحدة مع بورما مثلاً، ولكن في الجمعية العامة للأمم المتحدة؛ حيث لا سلطة ملزمة ولا صلاحيات. وأما حيث القوة والصلاحيات القانونية، فقد احتفظ الخمسة الكبار بحقوق وامتيازات لا تتوفر لغيرهم. إلا أنه مع ذلك يعترف بأهمية هذا الإعلان ولو على المستوى الإعلامي والمعنوي.

وبعد الإشارة إلى الأسس والمبررات الفكرية للإعلان الإسلامي ينتقل في فصل مستقل إلى بيان موارد اللقاء بين الإعلانين وموارد الافتراق.

موارد الالتقاء:

يشير الكاتب إلى عدد من موارد الاتفاق بين الإعلانين منها:
حق الحياة، الحرية، والأمن، ونفي التعذيب، ونفي العقوبة غير العادلة.

موارد الافتراق:

ينص الإعلان الإسلامي على نوعين من الكرامة: كرامة مكتسبة بالسير التكاملي للإنسان، وأخرى طبيعية فطرية، بينما الإعلان العالمي خالٍ من هذا المستوى من التفصيل. وكذلك ينص الإعلان الإسلامي على الربط بين الإنسان وخالقه، على أساس أن